الحي السكني والمجتمع والبناء الاجتماعي للمكان

الفصل التاسع من كتاب

مدخل الى جغرافية الحضر الاجتماعية

بول نوكس و ستيفن بنج

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

الأسئلة الرئيسية التي يتناولها هذا الفصل

- ما أثر التحضر على الحياة المجتمعية؟
- كيف يبني الناس صورًا للبيئات الحضرية ، وكيف تؤثر هذه الصور على طريقة عيشهم ؟
- ما هي المعاني الاجتماعية المُدمجة في البيئة المبنية ؟

من المواضيع الرئيسية التي يتناولها هذا الكتاب أن المدن تنطوي على تبادل بين العديد من الثقافات المختلفة في مساحات ضيقة نسبيًا ، مما يؤدي غالبًا إلى أشكال ثقافية جديدة ، ولكن أيضًا إلى انقسام اجتماعي (ينظر الفصلين 3 و8) . تشمل هذه التبادلات الثقافية شعوبًا ذات شبكات اجتماعية متعددة ومختلفة ومعقدة - بعضها متداخل ، وبعضها منفصل . بالنسبة لجغرافيي الحضر الاجتماعيين ، تشمل الأسئلة الرئيسية ما يلي : ما إذا كانت بعض هذه الشبكات تُشكل "مجتمعًا" ؛ وما إذا كان هذا المفهوم مرادفًا لـ"الحي السكني" أو "المحلية" ؛ وإذا كان الأمر كذلك ، ففي أي ظروف .

وفقًا للنظرية الاجتماعية الكلاسيكية ، لا ينبغي أن توجد المجتمعات في المدن على الإطلاق ؛ أو في أحسن الأحوال ، في شكل مُضعف فقط . دخلت هذه الفكرة إلى النظرية الاجتماعية لأول مرة في القرن التاسع عشر من خلال كتابات فرديناند تونيس ، الذي جادل بإمكانية تمييز شكلين أساسيين من أشكال الارتباط البشري في جميع النظم الثقافية . أولهما، وهو "Gemeinschaft " ، يرتبط بفترة سابقة كانت فيها الوحدة الأساسية للتنظيم هي الأسرة أو جماعة القرابة ، حيث اتسمت العلاقات الاجتماعية بالعمق والاستمرارية والتماسك والوفاء . أما الشكل الثاني، وهو "Gesellschaft " ، فقد عدت نتاجًا للتحضر والتصنيع اللذين أسفرا عن علاقات اجتماعية واقتصادية قائمة على العقلانية والكفائة والالتزامات التعاقدية بين الأفراد الذين أصبحت أدوارهم متخصصة . وقد تعزز هذا المنظور لاحقًا من خلال كتابات علماء الاجتماع مثل دوركهايم ، وسيميل ، وسومنر، وكما رأينا ، ويرث ، وأصبح جزءًا من الحكمة التقليدية حول حياة المدينة : فهي لا تساعد على "المجتمع" ، أيًا كان تعريفه . وقد وُصف هذا الرأي بأنه حجة "المجتمع المفقود" .

الحي السكني والمجتمع

ومع ذلك ، هناك أدلة كثيرة تدعم فكرة المجتمعات المتماسكة اجتماعيًا في المدن . لطالما صوّر الكُتّاب المدينة كمكان بشري بطبيعته ، حيث تُعدّ الود والتواصل الاجتماعي نتيجة طبيعية للتنظيم الاجتماعي على مستوى الحي (ينظر، على سبيل المثال، جاكوبس، 1961) . علاوة على ذلك ، دعمت الأبحاث التجريبية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هذا الرأي ، والتي أثبتت وجود عوالم اجتماعية مميزة محددة إقليميًا وتتمتع بحيوية تركز على "المؤسسات" المحلية مثل الحانات ، وصالات البلياردو، ومغاسل الملابس .

القرى الحضرية: هل يُنقذ المجتمع ؟ اقترح هربرت غانز، مُتابعًا دراسته الكلاسيكية لمنطقة ويست إند في بوسطن ، أنه لا داعي للحزن على زوال الشبكات الاجتماعية المتماسكة والشعور بالهوية الذاتية المرتبطين بحياة القرية ، لأنه ، كما جادل ، كانت هذه الخصائص موجودة داخل المدينة الداخلية في سلسلة من "القرى الحضرية" (غانز، 1962) . وقد عُرف هذا المنظور باسم "المجتمع المُنقذ" . ركّزت دراسة غانز على قرية عرقية (الحي الإيطالي) ، لكن الدراسات في مدن أخرى وصفت القرى الحضرية على أساس الطبقة الاجتماعية بدلًا من العرق . والمثال النمطي للقرية الحضرية هو بيثنال غرين في لندن ، التي أصبح سكانها نوعًا من الصورة النمطية الاجتماعية الكلاسيكية . لقد أظهرت "شعورًا بالانتماء للمجتمع... شعورًا بالتضامن بين الأشخاص الذين يشغلون المنطقة المشتركة" استنادًا إلى شبكة محلية قوية من القرابة ، مدعومة بأنماط محلية من العمل والتسوق وأنشطة الترفيه (يونغ وويلموت، 1957، ص 89، ينظر أيضًا الملحق 9.1) . وُصفت حالات مماثلة في سلسلة من الدراسات اللاحقة عن الحياة في المناطق الداخلية للمدن على جانبي المحيط الأطلسي . وعلى الرغم من أن فائدة هذه الدراسات محدودة بسبب اختلاف أهدافها وتنوع الأحياء نفسها ، إلا أن الشبكات الاجتماعية المحلية التي تصفها تميل إلى أن تكون لها أصول مشتركة . باختصار، من المرجح أن تتطور القرى الحضرية في مناطق الطبقة العاملة الراسخة ذات السكان المستقرين نسبيًا ونطاق ضيق من المهن .

وقد أكد العديد من الكُتّاب على أهمية الثبات في تعزيز تطوير النظم الاجتماعية المحلية . يُعدّ الثبات النسبي للطبقات العاملة (بكل معانيه : التنقل الشخصي ، والتنقل المهني ، والتنقل السكني) عاملاً بالغ الأهمية . يُؤدي هذا الثبات إلى تقوية روابط القرابة الرأسية وروابط الصداقة الأفقية . إن الدرجة العالية من التقارب السكني بين أفراد الأسرة في مناطق الطبقة العاملة لا تُسهم فقط في زيادة كثافة التفاعل بين الأقارب ، بل تُسهّل أيضًا الدور المهم للأم في تعزيز روابط القرابة . لطالما لعبت الأم دورًا رئيسيًا من خلال توفير الدعم العملي (مثل رعاية الأحفاد ، مما يُمكّن الابنة أو زوجة الابن من الحصول على وظيفة) ونقل المواقف والمعلومات والمعتقدات ومعايير السلوك . كما يُعزز التقارب السكني الناتج عن الثبات التفاعل الاجتماعي الأساسي بين الأصدقاء . تنتقل العلاقات التي تنشأ بين مجموعة من الأطفال في المدرسة إلى حياة الشارع ، والخطوبة ، ولاحقًا ، إلى ممارسة الأنشطة الاجتماعية في الحانات والنوادي وصالات البنغو .

ومن العوامل المهمة الأخرى في تعزيز نمو شبكات اجتماعية مترابطة ومتداخلة في مناطق الطبقة العاملة الانقسام الاقتصادي للمجتمع الذي يجعل الكثير من الناس عرضة لدورة الفقر . إن التجربة المشتركة والمتكررة للأوقات الصعبة ، إلى جانب التماسك والترابط الوظيفي الناتج عن التشابك الوثيق لشبكات القرابة والصداقة ، تُولّد تبادلية في المشاعر والهدف في مناطق الطبقة العاملة : تبادلية تُشكّل المنبع الرئيسي للمؤسسات الاجتماعية ، وأساليب الحياة ، و"روح الجماعة" المرتبطة بالقرية الحضرية .

هشاشة الجماعة

ومع ذلك ، فإن التماسك والجماعية الناشئين عن الجمود والحرمان الاقتصادي ظاهرة هشة . وتستند تبادلية القرية الحضرية إلى بسبب الضغوط والتوترات الناجمة عن الحميمية الاجتماعية وانعدام الأمن الاقتصادي ، وقد وصفت العديد من الدراسات التي أُجريت على أحياء الطبقة العاملة الصراع والاضطراب بقدر ما وصفت التماسك والترابط المجتمعي . العامل الوحيد الذي حظي بأكبر قدر من الاهتمام في هذا الصدد هو التوتر الناتج عن النقص البسيط في المساحة في مناطق الطبقة العاملة . تؤدي الكثافة السكانية العالية إلى مشاكل ضوضاء ، وعدم كفاية مساحات اللعب ، وعدم كفاية مرافق تجفيف الملابس ، وترتبط بالتوتر

والإرهاق الشخصي . ومن المرجح أن يعاني الأطفال ، على وجه الخصوص ، من الآثار النفسية لانعدام الخصوصية .

تنبع هشاشة الترابط المجتمعي للطبقة العاملة من مصادر عدة ، بما في ذلك صراع القيم الذي قد ينشأ عن تجاور الناس من خلفيات عرقية وثقافية متنوعة ، على الرغم من تجاربهم الاقتصادية المشتركة . من التهديدات الأخرى للمجتمعات المحلية اختلال العلاقات الاجتماعية الذي يحدث مع تقدم فئة من السكان في السن ووفاتها واستبدالها بعائلات أصغر سنًا ، والتي ، على الرغم من أنها قد تكون في الأساس من الطبقة نفسها ونمط الحياة ، تُمثل تدخلاً غير مقصود في حياة كبار السن الأكثر هدوءًا . أما العامل الثالث فهو الاختلال المرتبط بوجود عناصر غير مرغوب فيها - "العائلات المُشكلة" ، والعابرين ، والبغايا - وسط منطقة تسكنها عائلات "محترمة" . وقد تكون القوة النسبية لهذه العوامل الضاغطة العامل الحاسم في ترجيح كفة الميزان بين حيّ سكني في وسط المدينة من نوع "القرية الحضرية" وآخر يتسم بالفوضى والتفكك الاجتماعي اللذين تفترضهما نظرية ويرث .

<u>أحياء الضواحي</u> : هل تحوّل المجتمع؟

على النقيض من الشبكات الاجتماعية المترابطة للقرية الحضرية ، ينظر العديد من المراقبين إلى الحياة في الضواحي على أنها نقيض "المجتمع" . على سبيل المثال ، كتب لويس مومفورد أن الضواحي تُمثل "محاولة جماعية لعيش حياة خاصة" (مومفورد، 1940، ص 215). وقد أيدت هذه النظرة عمومًا عدد من الدراسات المبكرة عن الحياة في الضواحي ، بما في ذلك دراسة ليندز (1956) عن مونسي ، إنديانا ، ودراسة وارنر ولانت (1941) عن "يانكي سيتي" (نيو هافن) . كما عززت أعمال اجتماعية أخرى ، مثل كتاب وايت "رجل المنظمة" (1956) وكتاب شتاين "خسوف المجتمع" (1960) ، صورة الضواحي كمنطقة ذات روابط ثانوية فضفاضة ، حيث تُركز أنماط الحياة بشكل مباشر على سعي الأسرة النووية وراء المال والمكانة الاجتماعية والسلع الاستهلاكية المعمرة ، والخصوصية التي تُتيح لها التمتع بها .

ومع ذلك ، أظهرت الأبحاث اللاحقة الحاجة إلى مراجعة أسطورة "عدم وجود مجتمع" في الضواحي . على الرغم من قلة الأدلة على وجود قرى ضواحي تُضاهي القرى الحضرية في المناطق الداخلية للمدن ، فمن الواضح أن العديد من أحياء الضواحي تحتوي بالفعل على شبكات اجتماعية محلية ذات درجة عالية من التماسك : كما أوضح غانز (1967)، على سبيل المثال ، في دراسته الكلاسيكية لمنطقة ليفيتاون . يمكن عد أحياء الضواحي "مجتمعات ذات مسؤولية محدودة" - واحدة من سلسلة من الدوائر الاجتماعية التي قد يختار سكان الحضر المشاركة فيها . وقد تُرجمت هذه النظرة إلى "مجتمع مُحوَّل" أو "مجتمع مُحرَّر" . فبدلاً من تفكك المجتمعات الحضرية ، يمكن عدها متفككة إلى عدد متزايد باستمرار من المجموعات الفرعية المستقلة ، بعضها فقط قائم على أساس محلي .

وقد اقترح البعض أن الشبكات الاجتماعية لسكان الضواحي هي في الواقع أكثر محلية وتماسكًا من تلك الخاصة بسكان المناطق الداخلية للمدن ، حتى لو كانت تفتقر إلى شيء من مشاعر التبادلية . يؤكد هذا المنظور على ارتفاع مستويات "الجيرة" في الضواحي ، ويشير إلى أن هذا قد يُعزى إلى عامل واحد أو أكثر من بين عدة عوامل :

- ➤ أن المنزل المنفصل يُعزز الحياة الاجتماعية المحلية ؛
- ➤ أن الضواحي تميل إلى أن تكون أكثر تجانسًا ، اجتماعيًا وديموغرافيًا ، من المناطق الأخرى؛
- ➤ أن هناك "رغبة ريادية" في تكوين صداقات في مشاريع الضواحي الجديدة؛

➤ أن سكان الضواحي هم مجموعة مختارة ذاتيًا لديها التفضيلات للأنشطة الاجتماعية والترفيهية نفسها ؛
➤ أن المسافة المادية عن الاتصالات الاجتماعية الأخرى تُجبر الناس على الاكتفاء بالتواصل المحلي .
➤ ويتعزز تماسك مجتمعات الضواحي بشكل أكبر من خلال الشبكات الاجتماعية المرتبطة بالجمعيات التطوعية بمختلف أنواعها : جمعيات أولياء الأمور والمعلمين ، ونوادي البستنة ، والنوادي الريفية ، ونوادي الروتاري ، وما إلى ذلك .

وعلاوة على ذلك ، يبدو من الأدلة المتاحة أن العلاقات في الضواحي ليست أكثر ولا أقل سطحية من تلك الموجودة في مناطق وسط المدينة . ومع ذلك ، هناك بعض الفئات التي يؤدي العيش في الضواحي إلى إضعاف التواصل الاجتماعي لديها . لن يتمكن أفراد الأقليات من جميع الأنواع ، والأشخاص ذوو القيم أو أنماط الحياة غير النمطية إلى حد ما ، من تكوين صداقات أو متابعة اهتماماتهم الخاصة في الضواحي بسهولة . غالبًا ما يؤدي هذا إلى اضطرار هؤلاء الأشخاص إلى السفر لمسافات طويلة للحفاظ على العلاقات الاجتماعية . أولئك الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون في السفر يجب أن يعانوا من درجة من العزلة الاجتماعية كجزء من ثمن الإقامة في الضواحي .

<u>التوسع الحضري المتشرذم وتنوع الضواحي</u>

يجب أيضًا الاعتراف بأن طبيعة وكثافة التفاعل الاجتماعي في أحياء الضواحي تميل إلى التباين وفقًا لنوع الضاحية المعنية . إحدى نتائج "التوسع الحضري المتشرذم" الموصوفة في الفصل الأول هي أن الضواحي أصبحت أكثر تمايزًا . وقد شمل ذلك إعادة تنظيم الفضاء الثقافي حول أنماط حياة مختلفة مرتبطة بتوجهات مهنية ، وتوجهات عائلية ، وتوجهات بيئية ، وما إلى ذلك ، ومقيدة بخصائص الدخل ودورة الحياة . كما شمل ذلك ميلًا متزايدًا لدى الناس للانسحاب إلى "جيب محمي إقليميًا" يسكنه أشخاص متشابهو التفكير، في محاولة لإيجاد ملاذ من الجماعات المنافسة المحتملة .

في الولايات المتحدة ، لا تضم الضواحي الآن أكبر نسبة من الأسر والسكان في أمريكا فحسب ، بل تضم أيضًا جزءًا كبيرًا من الصناعة الأمريكية ، ومساحات المكاتب التجارية ، وتجارة التجزئة ، والمرافق الترفيهية ، والمعالم السياحية . وتخضع الأنماط التقليدية للتوسع العمراني لتغيرات هائلة في الاستثمار العقاري ، بالتزامن مع تغييرات لا تقل أهمية في هيكل وتنظيم المناطق الحضرية . أدى ذلك إلى ظهور "مدينة جديدة" (نوكس، 2008) ، وهو مصطلح شامل للمنطقة الحضرية النمطية التي تم توسيعها وإعادة تشكيلها لاستيعاب أنماط متزايدة التعقيد والاتساع من الترابط في شبكات متعددة المراكز من المدن الطرفية ، والعوالم والممرات الحضرية ، والضواحي الخارجية ، والضواحي المزدهرة ، والمراكز الحضرية الصغيرة ، المرتبطة ببعضها البعض عبر الطرق السريعة الحضرية ، والطرق السريعة الرئيسية ، والطرق السريعة بين الولايات ، والتي تتميز بالتمدد العمراني المتسلسل وانتشار التقسيمات الفرعية .

اليوم ، إذن ، انزلق الشكل التقليدي للضواحي إلى طيات التاريخ . تندمج المناطق الحضرية الأمريكية في مناطق شاسعة وممتدة من "الضواحي الحضرية" : مزيج مجزأ ومتعدد المراكز من أماكن العمل والسكن ، مع اندماج خصائص الضواحي ، والضواحي الخارجية ، ووسط المدينة (نوكس، 2008). يشير مايكل دير (2005، ص 248) إلى <u>أنه لم يعد المركز هو الذي يُنظم المناطق الحضرية النائية ، بل المناطق النائية هي التي تُحدد ما تبقى من المركز</u> . لقد أصبحت ضرورات التجزئة الديناميكية الرئيسية في المدن المعاصرة... ففي المشهد الحضري المعاصر، تُصبح "مراكز المدن" في الواقع، عاملًا خارجيًا للتحضر المُجزأ ؛ إذ غالبًا ما تُدمج في المشهد كفكرة ثانوية من قِبل المطورين والسياسيين المهتمين بالهوية والتقاليد . وتصبح أعراف

"التحضر" زائدة عن الحاجة في عملية حضرية لا علاقة لها باللامركزية المرتبطة بالنواة . وقد طرح إدوارد سوجا (2000) مصطلح "المدينة الخارجية" في محاولة لوصف بعض الأبعاد الرئيسية للتحضر المعاصر، بما في ذلك نمو المدن الطرفية والأهمية المتزايدة للقوى الخارجية في عصر العولمة . النماذج التقليدية للبنية الحضرية والمفاهيم والتصنيفات التقليدية – المدينة ، الضاحية ، المدينة الكبرى - تتحول بسرعة إلى أمثلة لما يسميه عالم الاجتماع أولريش بيك "الفئات الزومبي" ، وهي مفاهيم تجسد آفاقًا من الخبرة من القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين ، مُقطرة إلى فئات تحليلية وقبلية ما تزال تُشكل تصوراتنا ، وأحيانًا تُعمينا عن أهمية التغيير المعاصر (بيك وآخرون، 2003).

ذعر الوضع الاجتماعي وأزمة المجتمع

يبدو أن أحد الأمور المشتركة بين أحياء الضواحي في كل مكان هو غياب التبادلية ، "روح المجتمع" الدائمة ولكن غير الملموسة التي تُميز القرية الحضرية . التفسير الواضح لذلك هو حداثة العديد من مجتمعات الضواحي : لم يكن لديهم الوقت الكافي لتطوير نظام اجتماعي قائم على المحلية بشكل كامل . ومع ذلك ، فإن التفسير المرجح بالقدر نفسه هو أن سكان أحياء الضواحي ببساطة ، من غير المرجح أن يطوروا شعورًا بالتبادلية بالطريقة نفسها التي يطورها سكان القرى الحضرية لأنهم لا يتعرضون لنفس مستويات الحرمان أو التوتر.

ويتأكد هذا المنطق إلى حد ما من خلال "أزمة الجماعة" التي تظهر في الأحياء الضواحي في الأوقات التي يكون فيها تهديد قوي بشكل غير عادي للحصرية الإقليمية أو وسائل الراحة أو قيم العقارات . وقد وُثِّقت أمثلة على الجماعة التي نشأت في أعقاب ذعر الوضع الاجتماعي بشكل جيد ، والحالة الكلاسيكية هي حالة جدران كاتسلو . في عام ١٩٣٢، أنشأ مجلس مدينة أكسفورد مجمعًا سكنيًا في موقع ضاحية شمال المدينة ومتاخمًا مباشرةً لمجمع سكني خاص للطبقة المتوسطة . أصحاب المنازل ، الذين جمعهم خوفهم من تراجع مكانة حيهم وقيمة ممتلكاتهم ، وجمعتهم رغبتهم المشتركة في الحفاظ على المسافة الاجتماعية بينهم وبين جيرانهم الجدد من البروليتاريين ، ذهبوا إلى حد بناء جدار لا يمكن تسلقه كحاجز بين الحيين (كولينسون، 1963) . وتتعلق الأمثلة الموثقة الأخرى في الغالب بتهديدات "لا في طريقي" التي تشكلها الطرق السريعة الحضرية أو المطارات أو تقسيم الأراضي للاستخدام التجاري .

المجتمعات والأحياء السكنية : التعريفات والتصنيفات

كما رأينا، تختلف طبيعة وتماسك الشبكات الاجتماعية اختلافًا كبيرًا من مجموعة من الظروف الاجتماعية المكانية إلى أخرى ، وليس من السهل تحديد أي المواقف ، إن وجدت ، تعكس وجود "مجتمع" ، ناهيك عن أي منها يتوافق أيضًا مع منطقة جغرافية منفصلة . ومع ذلك ، يُمكن التفكير في علاقة هرمية فضفاضة بين الحي السكني والمجتمع المحلي والجماعية (المجتمع الاكبر) . وهكذا ، تُعدّ الأحياء مناطق تضمّ أناسًا يتشابهون في خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية إلى حد كبير ، لكنهم ليسوا بالضرورة أساسًا للتفاعل الاجتماعي . **توجد المجتمعات حيث يتطور قدر من التماسك الاجتماعي على أساس الترابط ، والذي بدوره يُنتج تجانسًا في العادات والأذواق وأساليب التفكير والكلام** . تُعرّف المجتمعات بأنها عوالم "مُسلّم بها" تُحدّدها مجموعات مرجعية قد تكون محلية ، أو مدرسية ، أو عملية ، أو إعلامية .

أما الجماعة ، أو "التواصل"، فتوجد كشكل من أشكال الارتباط الإنساني القائم على الروابط العاطفية . إنها تجربة مجتمعية على مستوى الوعي ، لكنها تتطلب مشاركة متبادلة مكثفة يصعب الحفاظ عليها ، وبالتالي لا تظهر إلا في ظل ظروف ضاغطة . في التحليل النهائي ، كل حي سكني هو ما يعتقده سكانه . هذا

يعني أن تعريفات الأحياء والمجتمعات المحلية وتصنيفاتها يجب أن تعتمد على المقاييس الجغرافية المرجعية التي يستخدمها الناس . في هذا السياق ، قد يكون من المفيد التفكير في الأحياء المباشرة (وهي صغيرة ، قد تتداخل مع بعضها البعض ، وتتميز بالارتباط الشخصي بدلاً من التفاعل من خلال مجموعات أو مؤسسات أو منظمات رسمية) ؛ والأحياء التقليدية (التي تتميز بالتفاعل الاجتماعي الذي يتعزز من خلال مشاركة المرافق المحلية واستخدام المنظمات المحلية) ؛ والأحياء الناشئة (وهي كبيرة ومتنوعة ، وتتميز بمستويات منخفضة نسبيًا من التفاعل الاجتماعي).

هناك طريقة مختلفة نوعًا ما لتناول الأحياء السكنية والمجتمعات المحلية ، وهي التركيز على وظائفها . من الممكن ، على سبيل المثال ، التفكير من منظور الوظائف الوجودية للأحياء (المتعلقة بالروابط العاطفية بين الناس وشعورهم بالانتماء) ، والوظائف الاقتصادية (المتعلقة بالاستهلاك) ، والوظائف الإدارية (المتعلقة بتنظيم الخدمات العامة واستخدامها) ، والوظائف المكانية (المتعلقة بالفوائد الاجتماعية والمادية للموقع النسبي) ، والوظائف الهيكلية (المتعلقة بالنتائج الاجتماعية للتصميم الحضري)، والوظائف السياسية (المتعلقة بتوضيح القضايا المحلية) ، و وظائف إعادة الإنتاج الاجتماعي (المتعلقة بالاقتصاد السياسي الأوسع للتحضر).

البناء الاجتماعي للأماكن الحضرية

لاحظ ديفيد هارفي أن كلمة "مكان" "من أكثر الكلمات تنوعًا في الطبقات والأغراض في لغتنا" (هارفي، 1993، ص 4) . يعكس هذا التعدد في المعاني الطريقة التي تُبنى بها الأماكن اجتماعيًا - حيث تُعطيها مجموعات مختلفة معانٍ مختلفة لأغراض مختلفة . كما يعكس صعوبة تطوير مفاهيم نظرية للمكان : فهناك كلماتٌ كثيرةٌ مثل الوسط ، والمحلية ، والموقع ، والجوار، والإقليم ، وما شابهها ، تُشير إلى الصفات العامة للمكان . وهناك مصطلحاتٌ أخرى مثل المدينة ، والقرية ، والبلدة ، والمدينة الكبرى ، والدولة ، تُشير إلى أنواعٍ مُحددةٍ من الأماكن . وهناك مصطلحاتٌ أخرى ، مثل المنزل ، والموقد ، و"الأرض" ، والمجتمع ، والأمة ، والمظاهر الطبيعية ، تحمل دلالاتٍ قويةً على المكان ، بحيث يصعب الحديث عن أحدهما دون الآخر. (هارفي، ١٩٩٣، ص ٤)

في هذا السياق، من المفيد إدراك "الوسطية" للمكان : أي اعتماد المكان على المنظور. الأماكن موجودة ، وتُبنى ، من وجهة نظر ذاتية ؛ بينما تُبنى وتُرى في الوقت نفسه على أنها "آخر" خارجي من قِبل الغرباء . كما قال نيكولاس إنتريكين : "حيّنا هو منطقة متمركزة حول أنفسنا ومنازلنا ، بالإضافة إلى كونه منطقة تضم منازل وشوارع وأشخاصًا قد ننظر إليهم من منظور لا مركزي أو من منظور خارجي . وبالتالي ، فإن المكان هو مركز المعنى والسياق الخارجي لأفعالنا" (إنتريكين، 1991، ص 7). بالإضافة إلى ذلك ، يمكن أن تتنوع وجهات النظر من "الخارج" في التجريد من كونها في مكان محدد إلى كونها "لا مكان" تقريبًا (أي وجهة نظر مجردة بلا منظور) (ساك، 1992؛ ينظر أيضًا الملحق 9.4).

هذه التمييزات مفيدة في الإشارة إلى أهمية فهم المساحات والأماكن الحضرية من منظور الشخص الداخلي ، أي الشخص الذي يعيش عادةً في مكان أو بيئة معينة ويستخدمها . ومع ذلك ، يجب النظر إلى الداخل والخارج على أنهما طرفان لسلسلة متصلة يمكن من خلالها تحديد أنماط مختلفة من تجربة المكان . الحجة الرئيسية هنا هي أن للأماكن معنى يتناسب طرديًا مع درجة شعور الناس بأنهم "داخل" ذلك المكان . أحد العناصر المهمة في بناء المكان هو تعريف الآخر بطريقة إقصائية ونمطية . هذا جزء من الاستراتيجية الإنسانية للإقليمية : فكرة أن لدى البشر رغبة فطرية في احتلال منطقة محددة لتلبية احتياجات السلامة والأمن والخصوصية وتمكين التعبير عن الهوية الشخصية . عنصر رئيسي آخر في بناء المكان هو الضرورة

الوجودية للبشر لتعريف أنفسهم في علاقتهم بالعالم المادي . تكمن جذور هذه الفكرة في فلسفة مارتن هايدغر، الذي زعم أن الرجال والنساء ينشأون في حالة اغتراب ويُعرّفون أنفسهم ، من بين طرق أخرى ، مكانيًا . إن "خلقهم" للمكان يمنحهم جذورًا ، وتصبح منازلهم ومواقعهم سيرًا ذاتية لهذا الخلق (هايدغر، 1971).

تُشكل فكرة "السكن" جوهر فلسفة هايدغر: القدرة الأساسية على تحقيق شكل من أشكال الوحدة الروحية بين البشر والعالم المادي . فمن خلال التجارب المتكررة والارتباطات المعقدة ، تُمكّننا قدرتنا على السكن من بناء الأماكن ، وإعطائها معانٍ تتعمق وتُحدد بمرور الوقت بدرجات متفاوتة . إلا أن هايدغر طرح هنا حجة إضافية : وهي أن هذا التعمق والتعدد في طبقات المعنى قد قُوّض في العالم الحديث بانتشار تكنولوجيا الاتصالات ، والعقلانية ، والإنتاج الضخم ، والقيم الجماعية . والنتيجة ، كما اقترح ، هي تقويض "أصالة" المكان . تُصبح مساحات المدينة غير أصيلة و"بلا مكان" ، وهي عملية تتعزز ، ومن المفارقات ، مع سعي الناس إلى الأصالة من خلال مساحات وأماكن مصممة باحترافية ومبنية تجاريًا ، حيث تُسهم تقاليدها المبتكرة ، ورمزيتها المُنقَّحة والمُبسَّطة ، وتراثها المُسوَّق ، في التقارب بدلًا من الهوية المكانية .

ومع ذلك ، لا يمكن أن يتم بناء المكان من قِبَل "الداخلين" بمعزل عن المعايير المجتمعية وتمثيلات العالم : "القواعد الثقافية" التي تُنظِّم البناء الاجتماعي للمساحات والأماكن . تتأثر إقليميتنا وإحساسنا بالسكن بمفاهيم مشتركة على نطاق واسع عن المسافة الاجتماعية ، وقواعد السلوك ، وأشكال التنظيم الاجتماعي ، ومفاهيم القيمة والأهمية ، وما إلى ذلك . نرى هنا ، إذن ، علاقة جدلية مهمة أخرى : بين البنى الاجتماعية والممارسات اليومية لـ "الداخلين" في المساحات والأماكن المُشيَّدة ذاتيًا . نحن نعيش ، كما ذُكر سابقًا في هذا الكتاب ، في الأماكن ومن خلالها . المكان ، إذًا ، أكثر بكثير من مجرد حاوية أو بناء ذهني . إنه نص وسياق في آنٍ واحد، وإطار للتفاعل الاجتماعي الذي ، من بين أمور أخرى :

- ت ُنظّم الروتين اليومي للحياة الاقتصادية والاجتماعية؛
- ت ُنظّم مسارات حياة الناس، مُوفّرةً لهم الفرص والقيود؛
- ت ُوفّر ساحةً تُجمع فيها المعرفة والخبرات اليومية "السليمة"؛
- تُوفّر موقعًا لعمليات التنشئة الاجتماعية وإعادة الإنتاج الاجتماعي؛
- توفّر ساحةً لمُعارضة المعايير الاجتماعية.
- عوالم الحياة الحضرية،
- روتين الزمان والمكان و
- التفاعل بين الأشخاص تُضفي هذه العلاقة الجدلية ديناميكيةً وهيكليةً على الجغرافيا الاجتماعية للمدينة .

الفكرة الأساسية هنا هي عالم الحياة ، النمط والسياق المُسلّم بهما للحياة اليومية التي يُدير الناس من خلالها حياتهم اليومية دون الحاجة إلى جعلها موضع اهتمام واعي . أحيانًا ، يمتد هذا النمط والسياق إلى المواقف والمشاعر الواعية : شعورٌ واعيٌّ بالمكان مع مجموعةٍ متشابكةٍ من العناصر المعرفية المرتبطة بالبيئة المبنية وقواعد اللباس وأنماط الكلام والسلوك العام والممتلكات المادية . هذا ما أسماه ريموند ويليامز (1973) بنية الشعور . أساس كلٍّ من عوالم الحياة الفردية والبنية الجماعية للشعور هو الذاتية المتبادلة : معانٍ مشتركة مستمدة من التجربة المعاشة للممارسة اليومية .

جزءٌ من أساس الذاتية المتبادلة هو روتينية الممارسة الفردية والاجتماعية في الزمان والمكان . وكما هو مُبين في الشكل 9.1، يمكن تقسيم زمنية الحياة الاجتماعية إلى ثلاثة مستويات ، كلٌّ منها مترابطٌ مع

الآخر . يرتبط طول مدة الحياة الاجتماعية بالتطور التاريخي للمؤسسات (القانون ، الأسرة ، إلخ). في إطار الوجود ، أو فترة الحياة ، تتأثر الحياة الاجتماعية بدورة حياة الأفراد والأسر، وتتفاعل مع الظروف الاجتماعية المميزة لجيلهم . وفي إطار الحياة اليومية ، تتفاعل الروتينات الفردية مع كل من بنية الأطر المؤسسية وإيقاع دورة حياتهم . ويمكن أيضًا تقسيم مكانية الحياة الاجتماعية إلى ثلاثة أبعاد . على أوسع نطاق ، هناك الممارسة المكانية المؤسسية ، التي تشير إلى المستوى الجماعي للبناء الاجتماعي للفضاء . ويمكن عندئذٍ اعتبار "المكان" مرتبطًا بالوعي الإنساني والمعاني الاجتماعية المرتبطة بالمساحات الحضرية . أخيرًا ، تشير الممارسة المكانية الفردية إلى الوجود المادي والتفاعل المكاني للأفراد والجماعات . ويمكن ربط هذه المستويات الثلاثة من المكانية ، بدورها ، بالمستويات الثلاثة لزمنية الحياة الاجتماعية ، كما هو موضح في الشكل 9.2. وهكذا ، يُعرض علينا إطار متعدد الأبعاد يُمكن من خلاله لروتين الزمان والمكان أن يعزز التفاعل بين الذات الذي تعتمد عليه عوالم حياة الناس .

	Longue durée	*Dasein* (lifespan)	*Durée* of daily life
Longue durée	Institutional time History	Coupling of history and life history Generation	Dialectics between life institutions and daily life
Dasein (lifespan)		Life history, the 'I'	Relation between life strategies and daily life
Durée of daily life			Day-to-day routines (time use)

Figure 9.1 Interrelations among the dimensions of temporality.
Source: Simonsen (1991), Fig. 1, p. 427.

Time Space	*Longue durée*	*Dasein*	*Durée* of daily life
Institutional spatial practice	Sociospatial development (historical geography)	Life strategies in spatial context	Geographical conditioning of daily routines
Place	Local history, culture and tradition	Biography in time and space Identity	Spatially based 'natural attitudes'
Individual spatial practice	Historical conditioning of spatial practices	Relation between life strategies and spatial practices	Daily time–space routines (time–geography)

Figure 9.2 Temporality, spatiality and social life.
Source: Simonsen (1991), Fig. 3.

أشهر عنصر في هذا الإطار لدى الجغرافيين هو جغرافية الزمان والمكان للحياة اليومية التي وضعها تورستن هاجرستراند (كارلشتاين وآخرون، 1978) . يلتقط نموذجه الأساسي (الشكل 9.3) قيود المكان والزمان على الممارسات المكانية اليومية الفردية . ويوضح كيف يرسم الناس "مساراتهم" في الزمان والمكان ، منتقلين من مكان (أو "محطة") إلى آخر لتحقيق أغراض (أو "مشاريع" محددة) . يُفهم هذا التنقل على أنه مُقيّد بثلاثة أنواع من القيود: (1) قيود القدرة - وبشكل رئيسي ، الوقت المتاح للسفر وسرعة وسيلة النقل المتاحة؛ (2) قيود السلطة - القوانين والأعراف التي تؤثر على السفر وإمكانية الوصول؛ و(3) قيود الاقتران الناتجة عن الفترات المحدودة التي تكون فيها مشاريع محددة متاحة للوصول. وتكمن الأهمية الخاصة للعلاقة بين الزمن والجغرافيا في السياق الحالي في أن تُجمع مجموعات من الناس ذوي القيود المتشابهة في "حزم" من النشاط الزماني والمكاني : أنماط روتينية تُعدّ شرطًا أساسيًا مهمًا لتطور التفاعل بين الذات والذات.

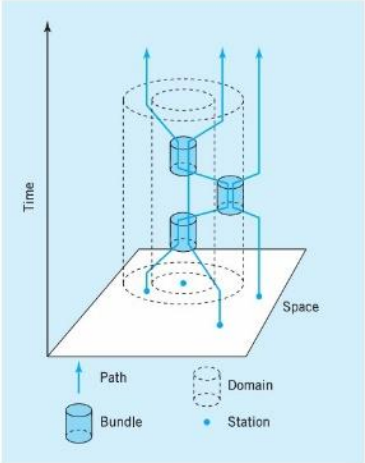

Figure 9.3 Concepts and notation of time–geography (after Hägerstrand).
Source: After Gregory (1989), Fig. 1.4.4, p. 82.

الهيكلة و"تشكّل" المكان

تُعدّ هذه القضايا محورية في نظرية الهيكلة ، التي تتناول الطريقة التي تُبنى بها الممارسات الاجتماعية اليومية عبر المكان والزمان . وقد طوّرها أنتوني جيدنز (1979، 1981، 1984، 1985: ينظر أيضًا براينت وجاري، 1991)، حيث تقبل وتُفصّل مقولة كارل ماركس الشهيرة بأن البشر "يصنعون التاريخ ، ولكن ليس في ظروف من اختيارهم" . وإذا ما اختُزلت إلى جوهرها ، ومن منظور جغرافي ، فإن نظرية الهيكلية ترى أن المظاهر الطبيعية البشرية : يُخلقها فاعلون (أو وكلاء) مطلعون يعملون ضمن سياق اجتماعي (أو هيكل) محدد . تتوسط سلسلة من الترتيبات المؤسسية العلاقة بين البنية والفاعلية ، والتي تُمكّن الفعل وتُقيّده في آنٍ واحد . ومن هنا، يُمكن تحديد ثلاثة "مستويات تحليلية" : البُنى ، والمؤسسات ، والفاعلون . تشمل البُنى الممارسات الاجتماعية الراسخة وطويلة الأمد التي تُحكم الحياة اليومية ، كالقانون والأسرة . تُمثل المؤسسات الأشكال الظاهرية للبُنى ، بما في ذلك ، على سبيل المثال ، جهاز الدولة . أما الفاعلون فهم أولئك الفاعلون البشريون المؤثرون الذين يُحددون النتائج الدقيقة والملموسة لأي تفاعل اجتماعي . (دير وولش، ١٩٨٩، ص ٦)

نحن جميعًا فاعلون إذن (سواء كنا مواطنين عاديين أو قادة أعمال ذوي نفوذ ، أو أعضاء في جماعات مصالح ، أو بيروقراطيين ، أو مسؤولين منتخبين) ، وكلنا جزء من ثنائية تُمكّن فيها البُنى (البُنى التواصلية للغة والدلالة ، بالإضافة إلى البُنى الاقتصادية والسياسية والقانونية الرسمية وغير الرسمية) سلوكنا ، بينما يُعيد سلوكنا نفسه تشكيل هذه البُنى ، ويُغيّرها أحيانًا . قد تعمل البُنى كقيود على الفعل الفردي ، ولكنها أيضًا ، في الوقت نفسه ، الوسيط ونتيجة السلوك الذي تُنظمه تكراريًا . علاوة على ذلك ، تُقرّ النظرية البنيوية بأننا جميعًا أعضاء في أنظمة من الفاعلين الاجتماعيين : الشبكات ، والمنظمات ، والطبقات الاجتماعية ، وما إلى ذلك .

يُنظر إلى الفعل البشري على أنه قائم على "الوعي العملي" ، أي أن الطريقة التي نُدرك بها أفعالنا وأفعال الآخرين ، والطريقة التي نُولّد بها المعنى في العالم ، متجذرة في ممارسات يومية روتينية تشغل مكانًا في أذهاننا بين الوعي واللاوعي . تُسهم التكرارية ، أي التكرار المستمر للممارسات الفردية والاجتماعية من خلال الأفعال الروتينية (روتين الزمان والمكان) ، في التكامل الاجتماعي ، وتطوير النظم والهياكل الاجتماعية بين الفاعلين في مواقع مُحددة . بالإضافة إلى ذلك ، يمكن ملاحظة تطور البنى والأنظمة الاجتماعية عبر

نطاقات أوسع من المكان والزمان من خلال تكامل النظم ، والذي يحدث من خلال التباعد الزماني المكاني : أي "امتداد" العلاقات الاجتماعية عبر الزمان والمكان مع انتشار الأفكار والمواقف والمعايير عبر وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية، على سبيل المثال . ومع ذلك ، فإن كل هذا التكرار والتكامل لا يؤدي إلى الركود ، لأن النهج البنيوي يرى أن جميع الأفعال البشرية تنطوي على ظروف غير متوقعة أو غير معترف بها ، ولها عواقب غير مقصودة تعدل أو تغير طبيعة الممارسات المتكررة (الشكل 9.4).

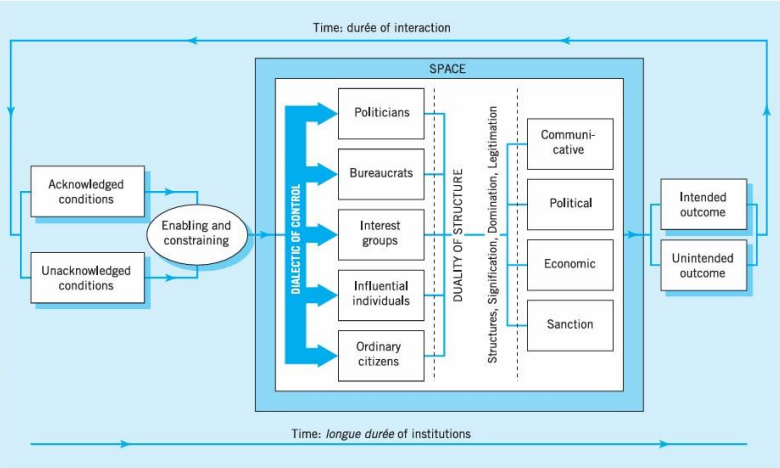

Figure 9.4 A model of the structuration of urban space.
Source: Dear and Moos (1986), pp. 351–73.

يقودنا هذا المنظور إلى رؤية المساحات والأماكن الحضرية على أنها تتغير باستمرار، أو "تتحول" . **المكان** ، بعبارة أخرى ، هو عملية طارئة تاريخيًا ، حيث تتشابك الممارسة والبنية من خلال تشابك الممارسات الفردية والاجتماعية المتكررة وعلاقات السلطة المنظمة . في الوقت نفسه ، يتضمن المكان عمليات (التنشئة الاجتماعية ، واكتساب اللغة ، وتطور الشخصية ، والتقسيم الاجتماعي والمكاني للعمل ، إلخ) تتداخل من خلالها السير الذاتية الفردية وأساليب الحياة الجماعية . وقد أصبح النهج البنيوي مؤثرًا هامًا في الجغرافيا البشرية المعاصرة ، وخاصة في جغرافية الحضر الاجتماعية نظرًا لاهتمامه المركزي بالجدلية الاجتماعية المكانية . ومع ذلك ، فقد ثبت صعوبة دمجه في الحسابات الجوهرية لتكوين المدينة و/أو الحي السكني . كما تعرض لانتقادات لتأكيده على التكرار (مع إهمال نسبي لما هو غير متوقع وغير مقصود) ، ولإهماله دور اللاوعي ، ولإهماله قضايا الثقافة والجنس والعرق.

بناء المكان من خلال الممارسات المكانية

تُقدم "شبكة" ديفيد هارفي للممارسات المكانية (الجدول 9.1) طريقةً لاستيعاب مجموعة أوسع وأكثر ثراءً من القضايا في معالجة طرق بناء الأماكن وتجربتها ، وكيفية تمثيلها ، وكيفية استخدامها كمساحات رمزية . تُفيد هذه المصفوفة في تركيز انتباهنا على التفاعل الجدلي بين التجربة والإدراك والخيال ؛ وفي توضيح العلاقات بين التباعد والاستيلاء على الأماكن والسيطرة عليها وإنتاجها . مع ذلك ، فهي لا تُلخص نظريةً بعينها : إنها مجرد إطار عمل يُمكننا من خلاله تفسير العلاقات الاجتماعية للطبقة والجنس والمجتمع والعرق .

الأبعاد الثلاثة على المحور الرأسي للشبكة مستمدة من تمييز ليفبفر (1991) بين المُجرَّب والمُدرَك والمُتخيَّل :

➤ تُشير الممارسات المكانية المادية إلى التفاعلات والتدفقات المادية التي تحدث في الفضاء وعبره كجزء من العمليات الأساسية للإنتاج الاقتصادي وإعادة الإنتاج الاجتماعي.

➤ تشمل تمثيلات الفضاء جميع العلامات والرموز والتدوينات والمعرفة التي تسمح بالحديث عن الممارسات المكانية المادية وفهمها.

➤ مساحات التمثيل هي بنى ذهنية مثل الخطط الطوباوية والمظاهر الطبيعية الخيالية واللوحات والهياكل الرمزية التي تتخيل معاني جديدة أو إمكانيات للممارسات المكانية.

يجب النظر إلى الأبعاد الأربعة على المحور الأفقي للشبكة على أنها مترابطة .

Table 9.1 A 'grid' of spatial practices

	Accessibility and distanciation	Appropriation and use of space	Domination and control of space	Production of space
Material spatial practices (experience)	Flows of goods, money, people, labour, power, information, etc.; transport and communications systems; market and urban hierarchies; agglomeration	Land uses and built environments; social spaces and other 'turf' designations; social networks of communication and mutual aid	Private property in land; state and administrative divisions of space; exclusive communities and neighbourhoods; exclusionary zoning and other forms of social control (policing and surveillance)	Production of physical infrastructures (transport and communications; built environments; land clearance, etc.); territorial organization of social infrastructures (formal and informal)
Representations of space (perception)	Social, psychological and physical measures of distance; map making; theories of the 'friction of distance' (principle of least effort, social physics, range of good, central place and other forms of location theory)	Personal space; mental maps of occupied space; spatial hierarchies; symbolic representation of spaces; spatial 'discourses'	Forbidden spaces; 'territorial imperatives'; community; regional cultures; nationalism; geopolitics; hierarchies	New systems of mapping, visual representation, communication, etc.; new artistic and architectural 'discourses'; semiotics
Spaces of representation (imagination)	Attraction/repulsion; distance/desire; access/denial; transcendence 'medium is the message'	Familiarity; hearth and home; open places; places of popular spectacle (streets, squares, markets); iconography and graffiti, advertising	Unfamiliarity; spaces of fear; property and possession; monumentality and constructed spaces of ritual; symbolic barriers and symbolic capital; construction of 'tradition'; spaces of repression	Utopian plans; imaginary landscapes; science fiction ontologies and space; artists' sketches; mythologies of space and place; poetics of space; spaces of desire

Source: Harvey (1989b) pp. 220–221.

إمكانية الوصول والتباعد وجهان لعملة واحدة : دور احتكاك المسافة في الشؤون الإنسانية . المسافة ، كما رأينا في الفصل الثامن ، تُشكّل حاجزًا أمام التفاعل الاجتماعي ودفاعًا ضده . التباعد هو ببساطة مقياس لمدى التغلب على احتكاك المكان لاستيعاب التفاعل الاجتماعي (هارفي، ١٩٨٩ب، ص ٢٢٢). يشير استيلاء المكان إلى الطريقة التي يشغل بها الأفراد والمجموعات الاجتماعية والأنشطة (مثل استخدامات الأراضي) والأشياء (المنازل والمصانع والشوارع) المكان . أما سيطرة المكان فتشير إلى الطريقة التي تُسيطر بها المنظمة على المكان .

ويمكن التحكم في إنتاج المساحات والأماكن من قِبل أفراد أو جماعات نافذة : من خلال قوانين الملكية الخاصة ، وقوانين تقسيم المناطق ، والاتفاقيات التقييدية ، والبوابات (والبوابات الضمنية) ، وما إلى ذلك . يشير إنتاج الفضاء إلى الطريقة التي تنشأ بها أنظمة جديدة للتنظيم الإقليمي ، واستخدام الأراضي ، والنقل والاتصالات ، وما إلى ذلك (فعلية أو متخيلة) ، إلى جانب طرق جديدة لتمثيلها (ينظر أيضًا الملحق 9.3). سنعتمد على هذه الشبكة طوال ما تبقى من هذا الفصل بينما ندرس الطرق التي تُعطى بها العوالم المادية والاجتماعية معنى من خلال السياسة الثقافية ، والتي تُسقط فيها القوة السياسية والاقتصادية من خلال الشكل الحضري ، والتي يُستحوذ فيها على الفضاء والمكان من خلال الرمزية والمعاني المشفرة .

المكان، الاستهلاك، والسياسة الثقافية

هناك درس مهم ضمني في شبكة الممارسات المكانية التي حددها هارفي : وهو أنه لا ينبغي لنا أن نعامل "المجتمع" على أنه منفصل عن "الاقتصاد" أو "السياسة" أو "الثقافة" أو "المكان" . وبالتالي ، فإننا نشير إلى مجال "السياسة الثقافية" ، الذي عرّفه بيتر جاكسون (1991أ، ص 219) على النحو الاتي : المجال الذي تُبنى فيه المعاني وتُتفاوض عليها ، حيث تُعرّف علاقات الهيمنة والتبعية وتُنازع عليها... في مقابل النظرة الوحدوية للثقافة كونها نتاجًا فنيًا وفكريًا للنخبة ، تُصرّ "السياسة الثقافية" على تعدد الثقافات ، حيث تُعرّف كلٌّ منها على أنها "أسلوب حياة" متكامل ، حيث تُشكّل الأيديولوجيات تُفسَّر هذه الأمور في ضوء المصالح المادية التي تخدمها . ومن هذا المنظور، يكون الثقافي دائمًا سياسيًا في آنٍ واحد. تجاربنا في العوالم المادية والاجتماعية تتوسطها دائمًا علاقات القوة والثقافة . قضايا التمييز "الاجتماعية" وقضايا التمييز "الثقافية" لا يمكن فصل الجماليات والذوق والأسلوب عن القضايا "السياسية" المتعلقة بالسلطة وعدم المساواة ، أو عن قضايا "الجندر" المتعلقة بالهيمنة والقمع . وكما ذُكر في الفصل الثالث ، فإن بناء المكان مرتبطٌ ببناء الطبقة ، والجندر ، والجنسانية ، والسلطة ، والثقافة .

الهابيتوس

قدّم عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو مساهمةً مهمةً في هذا المنظور . يتناول مفهومه عن الهابيتوس ، مثل مفهوم ريموند ويليامز عن "بنية الشعور" ، المذكور أعلاه ، بناء المعنى في عوالم الحياة اليومية . يتطور الهابيتوس استجابةً لظروف موضوعية محددة تتعلق بالطبقة ، والعرق ، والعلاقات بين الجنسين ، والمكان . ومع ذلك ، فهو أكثر من مجرد مجموع هذه العناصر . يتألف هذا المجتمع من مجموعة مميزة من القيم والبنى المعرفية والممارسات التوجيهية : مخطط إدراكي وتقييمي جماعي ينبع من تجارب أعضائه اليومية ويعمل على مستوى اللاوعي ، من خلال الممارسات اليومية المألوفة ، وقواعد اللباس ، واستخدام اللغة ، والسلوك ، وأنماط الاستهلاك المادي . والنتيجة هي سياسات ثقافية مميزة تتمثل في "الارتجالات المنظمة" حيث "يرمز كل بُعد من أبعاد نمط الحياة إلى الأبعاد الأخرى" (بورديو، 1984، ص 173).

وفقًا لبورديو، ستسعى كل مجموعة إلى الحفاظ على بيئتها وتوسيع نطاقها (وستسعى المجموعات الاجتماعية المكانية الجديدة إلى إنشاء بيئتها) من خلال الاستيلاء على رأس المال الرمزي : السلع والخدمات الاستهلاكية التي تعكس ذوق وتميز مالكها . في هذه العملية ، لا تقبل كل جماعة بالضرورة تعريفات الذوق والتميز التي وضعتها جماعات النخبة وصانعو الذوق الذين يمتلكون "رأس المال الثقافي" لممارسة السلطة على قواعد الذوق "الجيد" والثقافة "الراقية" . على أي حال ، تخضع هذه التعريفات باستمرار لانخفاض قيمتها بسبب ترويج سلع وممارسات كانت حصرية سابقًا .

إن حقيقة أن رأس المال الرمزي عرضة لانخفاض قيمته وتغيرات الذوق الطليعي تجعله أكثر قوة ، بالطبع ، كمقياس للتميز. نتيجة لذلك ، يجب على الجماعات المهيمنة السعي باستمرار إلى الرقي والأصالة في أنماط حياتها ومجموعات ممتلكاتها المادية . في الوقت نفسه ، يجب على الجماعات الأقل هيمنة إيجاد وإضفاء الشرعية على أنماط حياة ورموز وممارسات بديلة لتحقيق التميز . لا يُترك للمجموعات التابعة بالضرورة بناء عاداتٍ تُحاكي عادات الآخرين ، بل يُمكنها - وكثيرًا ما تفعل - تطوير عاداتٍ تُجسّد قيمًا مختلفة و"طقوس مقاومة" تُستولي فيها على معنى الأشياء وتُحوّل . يُشير كل هذا مجددًا إلى أهمية الاستهلاك وجمالية الحياة اليومية ، كما ذُكر في الفصل الثالث .

يهدف الاستهلاك إلى تبديد رهبة العيش في عالمٍ من الغرباء . تُخبرنا الإعلانات بما نتوقعه ، وما هو مقبول وغير مقبول ، وما نحتاج إلى فعله لننتمي . إنها أدواتٌ أساسية لإنتاج ونقل الرموز الثقافية . لا يُنتج

الاستهلاك المعنى ويُعمّمه فحسب ، بل يُنسج ويُغيّر القوى ووجهات النظر، ويُمكّننا في حياتنا اليومية من تغيير ثقافتنا ، وتحويل الطبيعة ، وخلق مكان . (ساك، ١٩٩٢، ص ١٣٢) الاستهلاك بطبيعته مكاني . إن قرب الشيء من المكان يسمح للأول باكتساب السلطة الثقافية للثاني ؛ فالأشياء المعروضة بجانب بعضها تتبادل سمات رمزية ؛ وتتحول الأماكن إلى سلع . لا يتألف عالم المستهلك فقط من بيئات تُشترى فيها الأشياء أو تُستهلك (كالمتاجر، ومراكز التسوق ، والمتنزهات الترفيهية ، والمنتجعات ، إلخ) ، بل يتألف أيضًا من بيئات وسياقات تُنشأ من خلال المنتجات المشتراة (كالمنازل ، والأحياء السكنية). جميع هذه البيئات مُشبعة بعلامات ورموز تُشكل مجتمعةً "مظاهر طبيعية أخلاقية" و"خرائط للمعنى" .

المعاني الاجتماعية للبيئة المبنية

على المستوى الأعم ، يمكن عد مشهد المدن انعكاسًا للأيديولوجية السائدة (بمعنى المناخ السياسي ، أو روح العصر، أو "الروح") لمجتمع معين . لقد تجلّت فكرة النسيج الحضري ، جزئيًا على الأقل ، كنتيجة لقوى سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية واسعة ، في كثير من الكتابات حول التحضر . ويمكننا توضيح ذلك بالإشارة إلى المثال البسيط لرمزية الثروة والإنجاز من قبل مجموعات من التجار والصناع المزدهرين . ومن الأمثلة المبكرة على ذلك الرأسماليين الصناعيين في العصر الفيكتوري ، الذين شعروا برغبة ملحة في التعبير عن إنجازاتهم في المباني . على سبيل المثال ، ما تزال منطقة كروس ستريت في وسط مانشستر تهيمن عليها العمارة القوطية المهيبة التي كلفت بها نخبة المدينة الفيكتورية ، الذين انشغلوا بتراكم الثروة وعرضها ، ولكن بموقف سطحي تجاه الجماليات ، مما ترك انطباعًا واضحًا عن قيمهم في المنطقة المركزية من المدينة .

ومع تراجع البرجوازية الصغيرة من التجار ورأس المال الصناعي الصغير أمام رأس المال المؤسسي والدولي ، أصبحت رمزية الإنجاز والرخاء تهيمن عليها الهياكل المؤسسية . من الواضح أن المباني المكتبية الضخمة ، مثل مبنى سويس ري في لندن ومبنى بيريللي في ميلانو، كانت تهدف إلى إظهار قوة الشركات وإنجازاتها ، بغض النظر عن أي وظائف إدارية أو مضاربة . على مستوى أعم ، بالطبع ، يُمكن تفسير مجمع المكاتب والمتاجر في مناطق وسط المدينة بأكملها على أنه رمز لسلطة "نخبة الحي المركزي" مقارنةً ببقية المدينة . في غضون ذلك ، أضافت مؤسسات أخرى تصريحاتها الخاصة إلى مخطوطة النسيج الحضري . ولم يتمكن رعاة الجامعات ومقرات النقابات العمالية والمراكز الثقافية وما إلى ذلك (أو لم يرغبوا) في الافادة من الرسالة الوقحة للمباني الشاهقة ، فلجأوا عمومًا إلى مزيج الكلاسيكية الجديدة والحداثة الذي أصبح الأسلوب الدولي السائد لأي مبنى يطمح إلى اكتساب السلطة من خلال صورة الرقي بدلًا من القوة الخام .

الاستيلاء على الفضاء والمكان: الرمزية والمعاني المشفرة

في حين أن البيئة المبنية غنية بالمعنى الاجتماعي ، إلا أن هذا المعنى نادرًا ما يكون بسيطًا أو مباشرًا أو أحادي البعد . بدايةً ، ثمة تمييزٌ مهمٌ بين المعنى المقصود من العمارة والمعنى المُدرَك للبيئة المبنية كما يراها الآخرون . يُعدّ هذا التمييز ضروريًا لفهم المعنى الاجتماعي للبيئة المبنية فهمًا سليمًا . على سبيل المثال ، تُظهر دراسة ديفيد هارفي لكنيسة القلب الأقدس في باريس كيف أن الرمزية المقصودة للمبنى - وهي إعادة تأكيد للملكية في أعقاب كومونة باريس - "كانت تُعد لسنواتٍ عديدة استفزازًا للحرب الأهلية" ، وما يزال سكان باريس ، الذين يغلب عليهم الجمهوريون ، يُفسّرونها على أنها رمزٌ استفزازيٌ وليس رمزًا موحّدًا (هارفي، 2003).

ومن النقاط المهمة الأخرى أن المعنى الاجتماعي للبيئة المبنية ليس ثابتًا . فالمعاني المرتبطة برموزٍ وبيئاتٍ رمزيةٍ مُعيّنة تميل إلى التعديل مع تغيُّر القيم الاجتماعية استجابةً لتغيّر أنماط الحياة وتغيّر أنماط التنظيم الاجتماعي والاقتصادي . في الوقت نفسه ، غالبًا ما تُستعار رموزٌ وزخارفٌ قويةٌ من فتراتٍ سابقةٍ لإضفاء الشرعية على نظامٍ اجتماعيٍّ جديد ، كما هو الحال في استيلاء موسوليني على رموز روما الأغسطية في محاولةٍ لإضفاء الشرعية على إعادة التنظيم الحضري الفاشية ؛ و(من المفارقات) في اعتماد مجموعةٍ مختارةٍ من الزخارف من النهضة الكلاسيكية في أوروبا من قِبل جيفرسون والآباء المؤسسين المسؤولين عن تكليف العمارة العامة والاحتفالية في واشنطن العاصمة .

كيف يُمكن استيعاب كل هذه الملاحظات ضمن إطارٍ تحليليٍّ متماسكٍ يتناول الأسئلة الأساسية المتعلقة بالتواصل : من ، ومن ، ولأي جمهور ، ولأي غرض ، ولأي تأثير؟ هذه هي الأسئلة التي دفعت عددًا من الكُتّاب إلى البناء على النظرية الاجتماعية البنيوية بطريقةٍ تُراعي المعنى الاجتماعي للبيئة المبنية . وفقًا لهذا المنظور، تعكس البيئة المبنية ، كجزء من البنية الفوقية الاجتماعية والاقتصادية المنبثقة عن نمط الإنتاج السائد (الإقطاع ، والرأسمالية التجارية ، والرأسمالية الصناعية ، إلخ)، روح العصر للنظام السائد ؛ كما أنها ، كغيرها من مكونات البنية الفوقية ، تُعدّ إحدى الوسائل التي تُعاد من خلالها إنتاج الشروط اللازمة لاستمرار النظام . كان ديفيد هارفي من أوائل من رسموا هذه العلاقات بين العملية الاجتماعية والشكل الحضري ، حيث أكد على خطورة التفكير من منظور العلاقات السببية البسيطة ، مشددًا على الحاجة إلى نهج مرن يسمح للعمران بإظهار أشكال متنوعة ضمن أي نمط إنتاج سائد ، في حين قد توجد أشكال مماثلة كمنتجات لأنماط إنتاج مختلفة (هارفي، 1978).

العمارة والجماليات والجدلية الاجتماعية المكانية

يمكن تفسير دور المهندس المعماري ، كمحكم ومبدع ومُتحكم في الأسلوب ، كجزء من العملية التي تُعبّر فيها العلاقات المتغيرة داخل المجتمع ككل عن نفسها في "البنية الفوقية" للأفكار والمؤسسات والأشياء . وهذا يسمح لنا برؤية التحولات الكبرى في الأسلوب المعماري كاستجابة جدلية لروح العصر المتطورة للمجتمع الحضري الصناعي ، كجزء من سلسلة من ردود الفعل الفكرية والفنية الواسعة ، بدلاً من كونها نتاج ابتكارات معزولة من صنع المهندسين المعماريين الملهمين . وهكذا ، على سبيل المثال ، يمكن عد عمارة الفن الجديد والحداثة في أواخر القرن التاسع عشر تعبيرًا معماريًا عن رد الفعل الرومانسي لما أسماه لويس مومفورد "العصر القديم" للثورة الصناعية : رد فعل عُبّر عنه لأول مرة في حركة الفنون والحرف اليدوية وفي الرسم الانطباعي . بحلول عام ١٩٠٠ ، ترسخ أسلوب الفن الحديث كأسلوب متعجرف ، نخبوي بوعي ، لجميع أنواع العمارة "الراقية" .

وكانت الاستجابة الجدلية عبارة عن سلسلة من الحركات الفنية والفكرية ، بدءًا من التكعيبية ، التي بذلت جهودًا حثيثة لإضفاء طابع درامي على التكنولوجيا الحديثة ، باحثةً عن أسلوب تصميم مجهول وجماعي ، في محاولة للانفصال عن قواعد "الرأسمالية" للسمعة والسلطة . وهكذا ظهرت الحركات البنائية والمستقبلية ، ومدرسة باوهاوس ، ولاحقًا المؤتمر الدولي للعمارة الحديثة (CIAM) ومجموعة أبحاث العمارة الحديثة (MARS) ، الذين اعتقدوا أن أسلوبهم الجديد ، لم تُعبّر العمارة ومفاهيمها الجديدة للتخطيط الحضري عن صورة جمالية جديدة فحسب ، بل عن جوهر الظروف الاجتماعية الجديدة التي ساهمت في خلقها . إن اندماج هذه الحركات وتحولها اللاحق إلى "الإسبرانتو" السلس للأسلوب الدولي ، والتبني المتزامن لهذا الأسلوب كصورة مفضلة للمحافظة المؤسسية والبيروقراطية ، والصلابة ، والاحترام ، يُقدّمان مثالاً هاماً على الطريقة

التي يُمكّن بها النظام الاجتماعي المهيمن من حماية نفسه من القوى الأيديولوجية المُعارضة . في هذا المثال تحديداً ، تم تحويل طاقة القوى الأيديولوجية المُعارضة - الراديكالية المثالية - ببراعة إلى الدفاع عن الوضع الراهن .

السؤال هو: كيف؟ التسليع

إحدى الإجابات هي أن الأيديولوجية المهنية والهيكل الوظيفي الذي يعمل في إطاره معظم المهندسين المعماريين الممارسين (على عكس الطليعة) يتجهان بشدة نحو قيم المؤسسة ، وينسجمان بدقة مع البيئة المؤسسية والنظام الاقتصادي القائمين . ونتيجة لذلك ، يميل معنى ورمزية الأساليب المعمارية الجديدة المنبثقة من أوساط راديكالية إلى التعديل مع إضفاء الطابع المؤسسي عليها وتحويلها إلى طابع تجاري ؛ بينما تنتقل الحركة الأساسية نفسها ، بعد أن فقدت قوتها الخام في عملية التسليع ، بهدوء إلى أساطير التعليم المعماري وكتب الطاولات الصغيرة لخبراء العمارة . وهناك تشابه مباشر في الطريقة التي تحولت بها الأيديولوجية الليبرالية لحركة تخطيط المدن إلى ذراع دفاعية لرأس المال الحضري ، تعمل بشكل منهجي لصالح مجتمع الطبقة المتوسطة بشكل عام ومجتمع الأعمال بشكل خاص . وفقًا لهذا المنظور، يُمكن عد المهندسين المعماريين، مثلهم مثل المخططين ، موظفين غير مُدركين ، جزءًا من سلسلة "آليات البقاء الداخلية" التي تطورت لتلبية متطلبات رأس المال الحضري .

العمارة وتداول رأس المال

ومن الطرق الأخرى التي يخدم بها المهندسون المعماريون هذه المتطلبات هي المساعدة في تحفيز الاستهلاك واستخراج فائض القيمة . فالمهندس المعماري ، بفضل المكانة والغموض اللذين يُمنحان للإبداع اجتماعيًا ، يُضيف قيمة تبادلية إلى المبنى من خلال قراراته بشأن التصميم ، بحيث يُضفي وصف "مصمم المهندس المعماري" افتراضًا بالجودة حتى لو لم تكن هذه الجودة واضحة لكل مراقب . علاوة على ذلك ، وبصفته أحد الحكام الرئيسيين للأسلوب في المجتمع الحديث ، يتمتع المهندس المعماري بمكانة قوية تُمكّنه من تحفيز الاستهلاك بمجرد إحداث و/أو تأييد التغييرات في تفاصيل تصميم المباني .

كما أن الأيديولوجية المهنية والهيكل الوظيفي اللذين يُكافئان الابتكار والقدرة على استشعار نبض الموضة يُعززان أيضًا تداول رأس المال . بدون إمداد ثابت من الموضات الجديدة في العمارة المنزلية (المعززة بالابتكارات في تكنولوجيا المطابخ وأنظمة التدفئة ، إلخ) ، فإن آليات التصفية التي يقوم عليها سوق الإسكان للمالكين والمستأجرين ستتباطأ إلى مستوى غير مقبول ، ليس فقط للبنائين والمطورين ، ولكن أيضًا لمحترفي البورصة (المساحين ، و وكلاء العقارات ، إلخ) ومجموعة كاملة من المؤسسات المالية المشاركة في سوق الإسكان .

باختصار ، يجب تشجيع الأغنياء والطبقة المتوسطة العليا على الانتقال من منازلهم المريحة إلى مساكن جديدة تتميز بمزيد من ميزات "التصميم" و"الراحة" للمساعدة في الحفاظ على معدل دوران كافٍ في سوق الإسكان . إحدى الطرق التي يتم من خلالها إغرائهم بالانتقال هي من خلال جاذبية التصميم العصري والتكنولوجيا الحديثة . ومن هنا جاء الانتشار السريع للابتكارات ، مثل المنازل الموفرة للطاقة . والبحث اليائس عن مواضيع تصميم ناجحة لإحيائها وإعادة إصدارها ، تمامًا مثل الإحياء المُصطنع للأزياء الراقية وموسيقى البوب . في أجزاء من الولايات المتحدة، تطورت العملية إلى مرحلة تُشبه فيها العديد من مشاريع تطوير ضواحي الطبقة المتوسطة العليا مساحات صغيرة من ديزني لاند ، حيث تجتمع فيها أساليب تيودور، والعصر الاستعماري الإسباني ، والعصر الجورجي الجديد ، والعصر القوطي الفيكتوري ، ومنازل الكبائن

الخشبية الفاخرة : أسلوبٌ من أجل الأسلوب ، وروحٌ تُثير الإعجاب . وفي بعض المدن ، يُروّج الآن لمساكن جديدة لفئات الدخل المرتفع من خلال معارض سنوية لتصاميم "هذا العام" ، على غرار التقادم المُخطط له بعناية في تصميم صناعة السيارات الفوردية .

ولكن ليس العمارة "الراقية" والإسكان الباهظ الثمن وحدهما هما ما يُساعدان على استدامة رأس المال الحضري . إحدى الوظائف الأكثر وضوحًا للعمارة فيما يتعلق بهيكلة الطبقة أحد أهم جوانب العلاقات من خلال البيئات السكنية هو التباعد الرمزي بين الفئات الاجتماعية . فالعقم الجمالي لمعظم المساكن العامة البريطانية ، على سبيل المثال ، يُسهم في عزل سكانها عن الفئات الاجتماعية الأخرى المجاورة . وعلى مستوىً آخر، يمكن القول إن ندرة المحفزات الرمزية ، التي تميز العديد من بيئات الطبقة العاملة المخطط لها بعد الحرب ، قد تُشكل نوعًا من القيود الفكرية والعاطفية ، مما يُقلل من احترام الناس لذواتهم وشعورهم بالإمكانات ، ويُعزز في الوقت نفسه مواقف الخضوع والانهزامية .

وعلى الرغم من أن هذه العملية ما تزال غير مفهومة جيدًا في الوقت الحالي ، إلا أن دور المهندس المعماري محوريٌّ بوضوح في النتيجة النهائية ، ليس فقط من حيث النظام الاجتماعي للمدينة ، ولكن أيضًا من حيث المعنى الوجودي للبيئات الحضرية . وهذا يُعيدنا إلى اعتبار أخير ولكنه حاسم : دور الذات في التفاعل بين المجتمع والبيئة . ويوضح الشكل 9.5 إطارًا واحدًا يُراعي هذا . بقبول التصميم المعماري كجزء من البنية الفوقية للثقافة والأفكار المنبثقة عن التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الأساسي للمجتمع (سواء كجزء من الأيديولوجية السائدة أو كجزء من الأيديولوجية المضادة) ، يركز هذا الإطار الاهتمام على : (1) الرسائل المقصودة الصادرة عن مالكين/منتجين معينين ، والتي ينقلها "مديرون" محترفون (مهندسون معماريون، مخططون، إلخ)؛ و(2) الرسائل الواردة من "المستهلكين" البيئيين ، كما تُرى من خلال منظور العمليات المعرفية والضرورات الوجودية ومرشح الأيديولوجية السائدة .

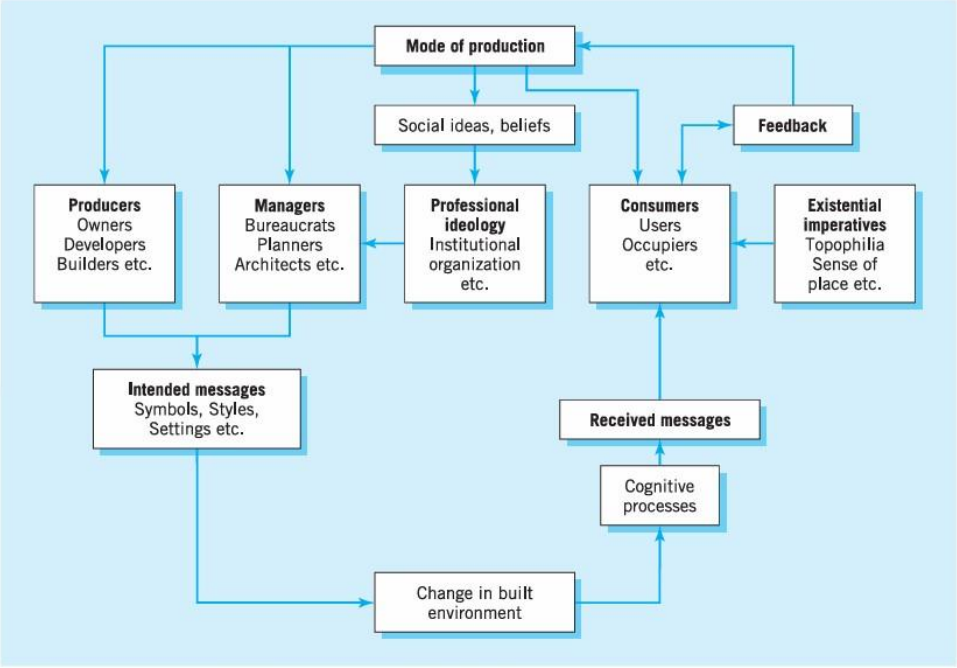

Figure 9.5 Signs, symbolism and settings: a framework for analysis.
Source: Knox (1984).

ملخص الفصل

9.1 على الرغم من وجود آراء مخالفة ، لم تُسفر المدن عن تدمير شبكات المجتمع ، بل شهدت تحولات جذرية من خلال اللامركزية ، والتوسع العمراني ، والاستقطاب الاجتماعي .

9.2 تُكوّن الأماكن معانٍ معقدة متعددة الطبقات ، تبعًا لآراء من يعيشون داخلها ، ومن يعيشون خارجها . لهذه المعاني تأثيرٌ مهم على أساليب حياة الناس اليومية .

9.3 يميل مشهد المدن إلى عكس الأيديولوجية السائدة في ذلك العصر - مزيجٌ معقدٌ من القوى السياسية والاقتصادية والثقافية .

ملحق 1

نقاشات رئيسية في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية -

كيف كانت مجتمعات الطبقة العاملة حقًا؟ حالة منطقة إيست إند في لندن

يتعلق أحد مصادر الجدل الرئيسية على مدى سنوات عديدة في الدراسات الحضرية بالطبيعة الحقيقية لمجتمعات الطبقة العاملة الأقدم في المدن الصناعية . ومن أهم الأعمال في هذا المجال كتاب يونغ وويلموت الكلاسيكي "العائلة والقرابة في شرق لندن" ، الذي تناول حياة الطبقة العاملة في خمسينيات القرن الماضي ، وأصبح من أكثر أعمال العلوم الاجتماعية شهرة وتأثيرًا في بريطانيا . وقد جادل الكثيرون بأن تصوير يونغ وويلموت لبيثنال غرين على أنها مدينة مليئة بالروابط الأسرية الوثيقة ، والمساعدة الذاتية المتبادلة ، والتضامن الاجتماعي المحلي ، قد قدّم رؤية رومانسية وعاطفية إلى حد ما . في الواقع ، بعد سنوات عديدة ، اعترف مايكل يونغ بأنه أغفل الكثير خلال أبحاثه (في البداية ، واجه مشاكل في فهم لهجات كوكني) ، وأنه ربما بالغ في تقدير بعض الصفات في هذا المجتمع ، مثل الروابط الأسرية الحميمة (وهي سمات وجدها غائبة في نشأته الأكثر تقشفًا في الطبقة المتوسطة).

جادل النقاد بأنه بالإضافة إلى المبالغة ، أغفل يونغ وويلموت الطابع ذي الحدين للمجتمعات المتماسكة ؛ فالتدقيق الشديد في سلوك الأصدقاء والأقارب قد يكون قمعيًا وداعمًا في الوقت نفسه . علاوة على ذلك ، تحملت النساء عبئًا كبيرًا من المسؤولية في هذه المجتمعات . ويُقال أيضًا إن المشاكل المرتبطة بنقل عائلات بيثنال غرين إلى مجمعات سكنية جديدة في الضواحي الخارجية لغرينتش قد تم تضخيمها . ومع مرور الوقت ، أُعيد بناء الروابط المجتمعية في المجمعات السكنية الجديدة . هناك تهمة أخرى وهي أن يونغ و ويلموت تجاهلا التاريخ الطويل والمعقد لمنطقة إيست إند في لندن ، وبالتالي قللا من أهمية التنوع الاجتماعي الناجم عن موجات المهاجرين السابقة . هذا يعني أنهما تجاهلا أيضًا الصراعات بين هذه المجموعات.

على سبيل المثال ، في القرون السابقة ، كانت هناك اشتباكات عنيفة بين المهاجرين الأيرلنديين ونساج الحرير الهوغونوتيين ، وصراعات لاحقة بين مختلف الطوائف اليهودية (وخاصة التوترات بين المهاجرين اليهود الذين كانوا يقيمون سابقًا في المناطق الحضرية مقارنةً بالمهاجرين من المجتمعات الزراعية) . في ثلاثينيات القرن العشرين ، ثار سكان إيست إند من الطبقة العاملة البيضاء ضد المهاجرين اليهود ، ومؤخرًا ، كانت هناك توترات بين المستوطنين البنغلاديشيين والطبقة العاملة البيضاء . في حين اضطر المهاجرون الأكبر سنًا إلى بناء روابط اجتماعية ذاتية لمواجهة ضغوط الحياة في المناطق الحضرية ، وصل هؤلاء المهاجرون الأحدث إلى دولة رفاهية راسخة تُمنح لهم فيها حقوق المواطنة ، ويبدو أن هذا هو أساس العديد من الصراعات (دينش وآخرون، 2006).

ومن المفارقات أن العديد من المهاجرين البنغلاديشيين يبدو أنهم يتمتعون بالسمات التي تصورها يونغ ويلموت في مجتمعات الطبقة العاملة التقليدية في بيثنال غرين - العائلات الممتدة وأنظمة الدعم المتبادل . لذلك ، غاب عن يونغ و ويلموت ضيق الأفق وكراهية الأجانب والعنصرية التي كانت شائعة في منطقة إيست إند بلندن . ولكن ربما تكون السمة الأكثر ديمومة لهذه المنطقة هي قدرتها ، على الرغم من التوترات العديدة ، على استيعاب مهاجرين متنوعين من مناطق عديدة بنجاح نسبي على مر السنين (أحدث مجموعة كانت طالبي اللجوء من الصومال) . يتضح هذا الاستيعاب من خلال المبنى الذي يُستخدم اليوم مسجد بريك لين . يعود تاريخ هذا الهيكل إلى عام ١٧٤٣ عندما بُني ككنيسة بروتستانتية لإيواء الجالية الهوغونوتية الفرنسية . في عام ١٨١٩، أصبح كنيسة ميثودية ، بينما استُخدم بين عامي ١٨٩٧ و١٩٧٦ كمعبد سبيتالفيلدز الكبير (ليشتنشتاين، ٢٠٠٨).

ملحق 2

الاتجاهات الرئيسية في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية - **نمو حركة التمدن الجديد**

تجلّت الحركة في البداية فيما أسماه المؤيدون "تنمية الأحياء التقليدية (TND) " ، وهي محاولة لتدوين تطوير المساحات بطريقة تُضفي طابعًا على المدن الصغيرة ، في بيئات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، حيث تُعطى الأولوية لحركة المشاة والتفاعل الاجتماعي على استخدام السيارات . تطورت هذه الأفكار في تسعينيات القرن الماضي إلى "تمدن جديد" ، يقوم على التأكيد على إمكانية تعزيز قابلية العيش من خلال تدوين مبادئ التصميم القائمة على السوابق والأنماط المستمدة من ملاحظات الأنماط السائدة في المجتمعات التقليدية . أُسِّس هذا القانون المعماريان أندريس دواني وبلاتر-زيبرك ، اللذان وضعت شركتهما ، DPZ، "معجم التخطيط الحضري الجديد" وشاركته مع مؤتمر التخطيط الحضري الجديد ، الشبكة التنسيقية للحركة .

مبادئ وخطاب التخطيط الحضري الجديد مزيجٌ مشتق من أفكار مستوحاة من يوتوبيا المثقفين في القرن التاسع عشر. يُعدّ التكوين المادي للشوارع عنصرًا أساسيًا في التخطيط الحضري الجديد ، وكذلك دور كتلة المباني كمحدد للمساحة الحضرية ، والحاجة إلى أنماط واضحة بين عناصر الشكل المبني والأماكن العامة ، وأهمية وجود أحياء سكنية متكاملة وظيفيًا وقابلة للتحديد . يُعتقد أن العمارة المدنية ، والشوارع المخصصة للمشاة ، والمفردات التقليدية للتصميم الحضري (مع مورفولوجيا تشمل الشوارع الرئيسية ، والكتل المحيطة ، والساحات ، والمعالم الأثرية) يمكن أن تكون بمثابة محفزات للتواصل الاجتماعي والتواصل المجتمعي .

وفقًا لمؤتمر التخطيط الحضري الجديد ، سيتم تحقيق ذلك من خلال نوع من "الرسم بالأرقام" لمصممي المدن ؛ وقواعد ومعايير تفصيلية ، مدمجة في سلسلة من الوثائق التنظيمية - خطة تنظيمية ، ولوائح حضرية ، ولوائح معمارية ، وأنواع شوارع ، ولوائح تنسيق مظاهر طبيعية - تُشكل نموذجًا للتطورات الحضرية الجديدة . ولكن على الرغم من جاذبيتها التجارية القوية لمطوري التقسيمات الفرعية الجديدة ، فقد تعرض التخطيط الحضري الجديد لقدر كبير من الانتقادات ، وخاصة من قبل علماء الاجتماع . تميل معظم مشاريع التطوير العمراني الجديدة إلى أن تكون مشاريع ضواحي أو ضواحي حضرية حصرية إلى حد ما ، تلبي احتياجات أسر الطبقة المتوسطة البيضاء ، مما يؤدي إلى نوع من "الخصوصية" الموصوفة في الفصل الخامس .

وقد وُصف ولع الحداثة العمرانية بالتصميم التقليدي الجديد بأنه شكل من أشكال الاختزال الثقافي الذي ينتج عنه بيئات غير أصيلة ، سطحية ومبتذلة ، حضرية من العصر الجديد تجمع بين الحكمة التقليدية والشعرية الغامضة ، الرنانة ولكنها بلا معنى . كما رأى النقاد أن التصميم الحضري التقليدي الجديد رجعي اجتماعيًا

بطبيعته . على سبيل المثال ، يصفها ريتشارد سينيت (1997، ص 67) بأنها "تمارين انسحاب من عالم معقد ، تنشر بوعي ذاتي عمارة "تقليدية" تنم عن تماسك مجتمعي أسطوري وهوية مشتركة في الماضي" . ويصف مصمميها بأنهم "فنانون يعانون من رهاب الأماكن المغلقة" ، ويخلص إلى أن "تصميم المكان القائم على الإقصاء والتشابه والحنين إلى الماضي سام اجتماعيًا وعديم الفائدة نفسيًا" . لكن نقطة الضعف الأساسية الكامنة في التحضر الجديد هي غرور الحتمية البيئية وتفضيل الشكل المكاني على العملية الاجتماعية . في المنطق التوجيهي للتحضر الجديد ، تصبح قواعد التصميم قواعد سلوك . التصميم "الجيد" (أي الحضري الجديد) يساوي المجتمع والمدنية والشعور بالمكان ؛ أما التصميم السيئ فيساوي انعدام المكان والملل والسلوك المنحرف . وهذا ، بطبيعة الحال ، مجرد وهم : فالمكان مبني على أسس اجتماعية ، والعلاقات بين الناس وبيئاتهم معقدة ، وانعكاسية ، ومتكررة.

ملحق 3

الاتجاهات الرئيسية في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية - **تطوير "أماكن مقدسة" جديدة**

لم يُعر الجغرافيون حتى وقت قريب اهتمامًا يُذكر للقضايا الدينية . ولعل أحد أسباب هذا الإهمال هو الافتراض (الخاطئ؟) بأن المجتمعات الغربية تتجه نحو العلمانية بشكل متزايد . جادل كريس بارك بأن القضايا الدينية هامشية نسبيًا في كثير من التحليلات الأكاديمية نظرًا لـ "العقلانية المفترضة لعلم ما بعد عصر التنوير، الذي يرفض قضايا أساسية مثل الغموض والروحانية والرهبة كونها غير عقلانية (وبالتالي لا تستحق الدراسة الأكاديمية)" (بارك، ١٩٩٤، ص ١).

تجدر الإشارة هنا أيضًا إلى أن المفكرين الاجتماعيين الرئيسيين في القرن التاسع عشر، الذين وضعوا أسس الكثير من النظريات الاجتماعية المعاصرة - ماركس وفيبر ودوركهايم - أكدوا جميعًا على الطرق التي استُخدم بها الدين لتعزيز النظام الاجتماعي القائم في المجتمع ، وتبرير المساواة وإرضاء الفقراء بالأمل في حياة أفضل بعد الموت . ومع ذلك ، فقد شهدنا مؤخرًا زيادة في العمل الجغرافي حول الدين . وكان من المفترض أن تكون أسباب ذلك قد أصبحت واضحة الآن من خلال الفصول السابقة حول الثقافة والهوية والفضاء والعرق . بالنسبة للعديد من الناس في المجتمعات الغربية ، ما تزال القيم الدينية تلعب دورًا رئيسيًا في تشكيل شعورهم بالهوية .

في الواقع ، إن فكرة تعريف "الدين" بأنه مجال منفصل متميز من الحياة هي فكرة غربية خاصة ؛ بالنسبة للعديد من الأديان ، بما في ذلك السيخية والإسلام (اللذان يُمارسان الآن على نطاق واسع في المدن الغربية) ، فإن فكرة فصل المجالات الدينية عن غير الدينية تُعد مرفوضة . على الرغم من انخفاض أعداد ممارسي أشكال العبادة المسيحية الراسخة ، إلا أن هناك زيادة كبيرة في أشكال العبادة البديلة مثل الإنجيلية . علاوة على ذلك ، يمكن أن تتمتع أماكن العبادة الدينية ، مثل الكنائس والمصليات والكاتدرائيات والمعابد والمساجد ، بقيمة رمزية قوية . فهي أماكن يجتمع فيها أعضاء المجتمع الديني لتعزيز معتقداتهم من خلال طقوس مختلفة . بعض الأديان ، مثل السيخية ، تعد العالم بأسره مكانًا مقدسًا مليئًا بحضور الله ، ومع ذلك ، وكما هو الحال في معظم الأديان ، فإن السيخية لديها أيضًا مبانٍ وأماكن ذات أهمية روحية خاصة . تُنادي معظم الأديان بقيم أخلاقية عالمية ، نُقلت إلى البشرية من قِبَل كائنات عليمة بكل شيء ، عبر أنبياء ومعلمين روحيين مختلفين . يتناقض هذا الموقف تناقضًا صارخًا مع المناهج الإنسانية العلمانية التي تُؤكد على أن القيم خاصة بأزمنة وأماكن مُحددة . عمليًا ، عُدِّلت العديد من أنظمة المعتقدات الدينية على مر السنين لاستيعاب المواقف المجتمعية المتغيرة تجاه قضايا مثل دور المرأة والعلم .

ومع ذلك ، واستجابةً للنسبية الأخلاقية ما بعد الحداثية ، وعلمانية الدولة ، شهدنا مؤخرًا نمو حركات دينية أصولية وإنجيلية مُختلفة تُؤكد على مُطلقات أخلاقية في قضايا تتراوح بين المثلية الجنسية والإجهاض واللباس والنظام الغذائي . وعلى صعيد أكثر تقدمية ، يُوجِّد الإيمان الديني في لندن الناس ، ليس فقط لتعزيز ثقتهم بأنفسهم وتقديرهم لذواتهم في بيئات عمل صعبة ومُهينة أحيانًا ، ولكن أيضًا لتشكيل سياسة جديدة في مكان العمل . شكّل العمال المهاجرون في العاصمة من خلفيات دينية متنوعة حركةً مسكونيةً تُدعى "مواطنو لندن" للمطالبة بأجور أفضل للعاملين في أشكال العمل من الباطن مثل التنظيف وتقديم الطعام والبناء (جامول وويلز، 2008).

ملحق 4

المفكرون الرئيسيون في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية - **هنري لوفيفر**

عومل نشر الترجمة الإنجليزية لكتاب هنري لوفيفر "إنتاج المكان" (الذي نُشر لأول مرة بالفرنسية عام ١٩٧٤) في بعض الأوساط الجغرافية كاكتشافٍ للكأس المقدسة ! في العقدين السابقين ، لم يُبدِ سوى عدد قليل من الجغرافيين "المطلعين" إعجابهم بباحث فرنسي طوّر إعادة صياغة جذرية للنظرية الماركسية ، جعلت المكان بدلاً من الزمان جوهر تحليله . في الواقع ، أثبت كتاب لوفيفر أنه نصٌّ مُكثّف ، وفي بعض الأحيان ، غامض ، مما أدى حتمًا إلى تفسيرات مختلفة حول المعنى الحقيقي لعمله . ومع ذلك ، لا ينبغي الاستهانة بتأثير لوفيفر على جغرافية الحضر الاجتماعية . على وجه الخصوص ، كان له تأثير كبير على أعمال ديفيد هارفي ، الذي يُقال إنه الجغرافي البشري الأكثر تأثيرًا في أواخر القرن العشرين (ينظر أيضًا الملحق 1.1).

ومن أهم ما توصل إليه لوفيفر هو تمييزه بين المفاهيم المختلفة للفضاء . فمن ناحية ، أشار لوفيفر إلى تمثيلات الفضاء - أي الطرق السائدة التي تُصوَّر بها المدن ، كما هو الحال في وثائق التخطيط (التي يُطلق عليها أحيانًا "الفضاء المُتصوَّر") . وترتبط هذه التمثيلات بالمعايير الرأسمالية القائمة التي تتناول قضايا مثل حقوق الملكية والتشريعات المحيطة بقوانين العمل . ومن ناحية أخرى ، أشار إلى وجود مساحات تمثيل ، أي المشاعر الشخصية التي يشعر بها الناس تجاه المساحات التي يسكنونها من خلال التفاعلات اليومية (التي يُطلق عليها أحيانًا "الفضاء المُتصوَّر") . والنقطة الحاسمة هي أن هذين المفهومين للفضاء مترابطان ، وقد يكونان في صراع . على سبيل المثال ، قد تختلف طريقة تصوير مركز المدينة في الأدبيات الحكومية الرسمية ، مُشيدةً بمزاياه للمتسوقين والاستثمار الداخلي ، عن طريقة تفكير السكان المحليين في مثل هذه المساحة .

قد تكون لدى عمال الخدمات ذوي الأجور المنخفضة نسبيًا فكرة مختلفة عن مركز مدينة مُجدد مقارنةً بعمال التكنولوجيا الفائقة ذوي الأجور الجيدة أو السياح الزائرين . كان لوفيفر مهتمًا بشكل خاص بالعمليات التي أدت إلى ظهور هذه التمثيلات السائدة للفضاء واستبعاد الرؤى الأخرى له . بصفته صاحب رؤية اجتماعية ، أمل لوفيفر أن يتمكن الناس من تصور مفاهيم جديدة للفضاء . وبما أنه وضع الفضاء في صميم تحليله ، فإن التغيير الاجتماعي الجذري يجب أن يشمل أكثر من مجرد تغيير وسائل الإنتاج ، بل يشمل أيضًا مفاهيم جديدة للفضاء الذي يعيش فيه الناس حياتهم اليومية . لقد تعرض ليفبفر لانتقادات بسبب تجاهله للسياسات الثقافية الجديدة (بلوم وناست، 1996)، ولكنه ألهم عددًا من الجغرافيين الماركسيين الذين درسوا التغييرات الأخيرة في المدن (على سبيل المثال، ن. سميث، 1984؛ ميريفيلد، 1993).

ملحق 5

المفكرون الرئيسيون في الجغرافيا الاجتماعية الحضرية - **نايجل ثريفت**

من المستحيل التعمق في الجغرافيا البشرية قبل الاطلاع على أعمال نايجل ثريفت . في الواقع ، يُعد ثريفت ، من نواحٍ عديدة ، المعادل الجغرافي لعالم الاجتماع المؤثر أنتوني جيدنز . ومثل جيدنز، استقى ثريفت أفكاره من طيف واسع من المصادر . يُعد ثريفت من أكثر الكُتّاب غزارة في الإنتاج في هذا المجال، حيث ألّف عشرات الكتب والمقالات ، ونطاق أعماله واسع ، بدءًا من طبيعة الرأسمالية (2005)، مرورًا بالعولمة والتنمية الإقليمية (أمين وثريفت، 1992)، وطبيعة المال (ليشون وثريفت، 1997)، ودور الزمن في الحياة الاجتماعية (ثريفت، 1977) (على سبيل المثال لا الحصر!). من المستحيل تلخيص هذه المجموعة الواسعة من الأعمال بأي تفصيل ، ولكن مع ذلك ، فإن هذا التنوع الاستثنائي يستند إلى عدد من المواضيع الرئيسية.

وقبل كل شيء ، قاوم ثريفت التنظير البنيوي " من أعلى إلى أسفل" للمناهج الماركسية . فبينما يُقر بوجود شبكات معقدة من القوة والمعرفة والسلطة ، يُنظر إليها على أنها نتاج أفعال الأشخاص الذين يتخذون خيارات بناءً على أنواع مختلفة من المعرفة التي يستخدمونها في سياق حياتهم اليومية . ولذلك ، تحتل قضايا مثل الأداء والذاتية والخطاب والتمثيل والهوية مكانة بارزة في أعمال ثريفت . وإذا نظرنا إلى أعمال ثريفت ككل ، فإنها تُمثل إعادة بناء رائعة ، في إطار جغرافي ، لأفكار متنوعة ولكنها مترابطة من مجموعة واسعة من المفكرين ذوي النفوذ الكبير في العلوم الاجتماعية ، بما في ذلك : أعمال تورستن هاجرستراند حول ميزانيات الزمان والمكان ؛ وأعمال أنتوني جيدنز حول نظرية الهيكلة ؛ أعمال ميشيل فوكو حول المعرفة والسلطة ؛ وأعمال مانويل كاستيلز حول "مساحات التدفقات"؛ وأعمال برونو لاتور حول نظرية شبكة الفاعلين؛ وأعمال جيل دولوز حول الأداء.

ملحق 6

روايات رئيسية متعلقة بالجغرافيا الاجتماعية الحضرية - الفصل التاسع

برلين ألكسندربلاتس (1929) ألفريد دوبلين . رواية تدور أحداثها في عالم الطبقة العاملة في برلين خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، وهي رواية مبتكرة تحاول استحضار مختلف أجواء الحياة الحضرية من خلال التقارير الصحفية والإعلانات ولافتات الشوارع.

الحارس في حقل الشوفان (1951) ج. د. سالينجر. رواية كلاسيكية عن تمرد المراهقين في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب.

ليالي الكوكايين (1996) ج. ج. بالارد. رواية إثارة تتناول أيضًا شكلًا حضريًا جديدًا - مجتمع المتقاعدين.

السيدة دالواي (1925) فرجينيا وولف. رواية مبتكرة، تدور أحداثها في لندن في عشرينيات القرن الماضي، تُظهر عزلة الشخصيات نتيجةً للفصل الجغرافي والطبقة الاجتماعية والجنس.

السبت (2005) إيان ماك إيوان. القلق الحضري المعاصر كما يعيشه أحد سكان الطبقة المتوسطة العليا في لندن في سياق الإرهاب الدولي.